موقف التيار الإسلامي في مدينة الموصل من التطورات السياسية ١٩٥٨ - ١٩٦٣

هاشم عبدالرزاق صالح(*)

تمهيد

شهدت مدينة الموصل عبر تاريخها العريق تنوعا في مختلف الأديان السماوية والطوائف الدينية وتعايشها، وقد أدى التنوع الديني فيها إلى وجود عدد كبير من دور العبادة منذ اقدم العصور إلا ان الديانة السائدة فيها هي الإسلام، فشهدت المدينة بناء عدد كبير من الجوامع والمساجد يرجع تاريخ بعضها إلى فترة الفتح الإسلامي ودخول المسلمين للمدينة سنة (١٦هـ/٦٣٧م)(١).

أدت تلك الجوامع والمساجد دورا اجتماعيا كبيرا في تقوية العلاقات الاجتماعية والتماسك الاجتماعي فضلا عن كونها مركزا ثقافيا حيث يتلقى الصبيان فيها التعاليم الدينية والقراءة والكتابة فشهدت مدينة الموصل ومنذ فترات تاريخية مبكرة ظهور ما سمي بـ(الكتاتيب) التي كانت بمثابة محاولة لتشكيل الشخصية الدينية في المدينة من خلال نظام التعليم الديني الذي ركزت عليه تلك المؤسسة(٢).

(*) قسم التاريخ ـ كلية الآداب / جامعة الموصل.

(١) انظر: سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، ج١، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٣، ص٥٦؛ سعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، مطبعة شقيق (بغداد، ١٩٦٣).

(٢) إبراهيم خليل احمد، حركة التربية والتعليم في الموصل، موسوعة الموصل الحضارية، ج٤، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩٢، ص٣٣٣.

فضلا عن انتشار المدارس الدينية التي كانت ملحقة بالجوامع والمساجد مثل مدرسة (اليونسية) في جامع النبي يونس، والمدرسة (العمرية)، والمدرسة (الجرجيسية). وقد أدت تلك المدارس دورا كبيرا في ترسيخ العلوم الدينية من خلال مفردات مناهجها التي تدرس فيها[٣]، مما ترك أثرا كبيرا في سلوك الإنسان الموصلي المحافظ، وتحديد مواقفه وتصرفاته إزاء مختلف المواقف بما يرتبط بالمفاهيم الدينية ارتباطا وثيقا. بما في ذلك مواقفه السياسية والوطنية لذلك اشتهرت مدينة الموصل بتداخل (العقيدة) الدينية بالشعور والوعي الوطني.

وقد جسد تلك المواقف بشكل واضح علماء الدين المسلمون وحملة الفكر الديني الذين يشكلون التيار الإسلامي في مدينة الموصل من خلال موقفهم المشرف ليس من قضايا العراق فقط بل من معظم القضايا المصيرية للعالم العربي والإسلامي فقد كان للتيار الإسلامي في الموصل موقف واضح من تشكيل الحكم الوطني في العراق، فبعد تتويج الملك فيصل بن الحسين ملكا على عرش العراق في آب ١٩٢١ اشترك عدد من رموز التيار الإسلامي في المدينة بالوفد الرسمي الذي قدم التهاني للملك نيابة عن أهالي الموصل منهم (محمد حبيب العبيدي وعبد الله النعمة)[٤].

كما دافع التيار الإسلامي في الموصل عن عراقية المدينة إزاء مطالبة تركيا بالموصل لضمها إليها (١٩٢٤-١٩٢٦). وعبر عناصره عن تعلقهم بمدينتهم من

(٣) انظر: سالم الحمداني، التعليم في الموصل في القرن التاسع عشر، مجلة آداب الرافدين، الموصل، العدد(١٠)، آذار، ١٩٧٩، ص٤٢٩.

(٤) سيار كوكب الجميل، تكوين الحكم الوطني واسهام الموصليين في تأسيس الدولة العراقية الحديثة، موسوعة الموصل الحضارية، ج٥، جامعة الموصل، ١٩٩٢، ص٣٠٦.

خلال الخطب وبرقيات التأييد والمظاهرات التي نظمت للتدليل على ان الموصل جزء لا يتجزأ من العراق(٥).

وكانت هناك مواقف متعددة أوضحت بشكل كبير الدور الإيجابي للتيار الإسلامي في الموصل من ابرز القضايا العربية سواء وقوفهم إلى جانب الشعب الفلسطيني في مواجهته للأطماع الصهيونية(٦)، أو من خلال مواقفه المساندة للقضية السورية واللبنانية ومناصرة الشعب المصري خلال العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦(٧).

الموقف من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

مارس التيار الإسلامي في مدينة الموصل نشاطات متعددة قبل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فبالإضافة إلى خطب صلاة الجمعة كانت هناك دروس دينية تلقى من خلال اجتماعات كانت تعقد عادة في الجامع النوري الكبير تعمل على تنظيمها جمعية (الاخوة الإسلامية)(٨)، وكان يقوم بإلقاء تلك الدروس والخطب عدد من

(٥) نوري احمد عبدالقادر، الموصل والحركة القومية العربية(١٩٢٠-١٩٤١)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٨، ص١٣٢.

(٦) جريدة فتى العراق، الموصل، أعداد متفرقة، أيار، ١٩٤٨.

(٧) للتفاصيل حول تلك المواقف انظر: مجول محمد محمود جاسم، علماء الدين الإسلامي في الموصل ومواقفهم تجاه ابرز القضايا الوطنية والقومية ١٩٢١-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠١، ص١١٥، وما بعدها.

(٨) جمعية الاخوة الإسلامية: واجهة من واجهات حركة الأخوان المسلمين، أسسها الشيخ امجد الزهاوي في العراق في أيلول ١٩٤٩. انظر محمد محمود الصواب، من سجل ذكرياتي، ط١، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٧، ص١١٠.

الشخصيات الإسلامية في المدينة مثل (الشيخ عبد الله الاربيللي)[٩] (والشيخ عبد الوهاب الشماع والشيخ محمد محمود الصواف والأستاذ عبد الحافظ سليمان). فضلا عن إقامة الاحتفالات في المناسبات الدينية لنشر الدعوة الإسلامية والتذكير بأمجاد الحضارة العربية الإسلامية[١٠].

كما شارك التيار الإسلامي في الموصل في المظاهرات الاستنكارية التي كانت تقوم بها الفئات الوطنية في المدينة ضد النظام الملكي، وسياسة التحالفات الغربية التي كان يخوض فيها النظام الملكي ومراقفه غير الحازمة من العدوان الأجنبي على الأقطار العربية حتى ان أحدهم سقط شهيدا في إحدى المظاهرات وهو المرحوم (عدنان البارودي)[١١].

في صبيحة يوم الاثنين الموافق ١٤ تموز ١٩٥٨ سمع العراقيون من إذاعة بغداد نبا قيام الثورة التي أسقطت النظام الملكي في العراق. وقد استقبلت مدينة الموصل شانها شان المدن العراقية الأخرى نبا قيام الثورة بالتأييد الكامل فما ان سمعت جماهير الموصل البيانات الأولى للثورة بسقوط النظام الملكي وإعلان النظام

(٩) ولد الشيخ عبد الله الاربيللي في اربيل عام ١٩١٤، نشا في مدينة الموصل، وعمل مدرسا في المعهد الإسلامي، وامام خطيب في عمر الأسود ثم في جامع الشيخون للتفاصيل انظر: سالم عبد الرزاق، صفحة من ثورة الموصل عام ١٩٥٩، جريدة القادسية، بغداد، العدد ٣١٩١، ١١ آذار، ١٩٩٠.

(١٠) مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الوهاب الشماع، إمام وخطيب جامع النبي يونس في الموصل، في ١٩٩٩/٤/٦.

(١١) سقط شهيدا إمام مركز الشرطة العام في المدينة خلال المظاهرات التي استنكرت العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، المصدر نفسه.

الجمهوري، حتى انتابها فرح شديد جعلها تخرج إلى الشوارع والساحات العامة هاتفة بحياة الثورة وقادتها[١٢].

وعلى الرغم من موقف الاستنكار والمعارضة الذي أبدته قيادة الأخوان المسلمون في الموصل من الثورة والذي مثله مؤسس تنظيم الأخوان المسلمين في العراق الشيخ (محمد محمود الصواف)[١٣] عندما وصف يوم الثورة بـ(اليوم الأسود) ودعا إلى عدم تأييدها[١٤]. إلا ان الفئات الشبابية داخل الجماعة الإسلامية كان لها موقف آخر. حيث انطلقت مظاهرة كبيرة من مقهى (مصطفى الأعرج) والتي تقع قرب مدخل جسر نينوى الحديدي في الجانب الأيمن من المدينة يقودها (الشيخ عبد الوهاب الشماع) منددين بسياسة ولي العهد (عبد الاله) ورئيس الوزراء (نوري السعيد) ومعلنين تأييدهم للنظام الجديد[١٥] ومطالبين بالتخلص من الشركات الأجنبية

(١٢) للتفاصيل عن الثورة انظر: ليث عبد الحسين جواد الزبيدي،سقط شهيدا إمام مركز الشرطة العام في المدينة خلال المظاهرات التي استنكرت العنوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، المصدر نفسه. ثورة تموز ١٩٥٨ في العراق، أسبابها ومقدماتها ومسيرتها وتنظيم الضباط الأحرار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩.

(١٣) ولد الصواف في الموصل سنة ١٩١٤، وكان ضمن البعثة الطلابية العرقية التي أرسلت إلى الأزهر سنة ١٩٣٩، وهناك تعرف إلى حسن البنا مؤسس حركة الأخوان المسلمون، اكمل دراسته في الأزهر سنة ١٩٤٣ ضمن البعثة التي أرسلت على نفقة الثري مصطفى الصابونجي، حصل الصواف على شهادة الماجستير في القضاء الشرعي في جامعة الأزهر سنة ١٩٥١، وهو مؤسس جماعة الأخوان المسلمون في العراق، توفي في المملكة العربية السعودية سنة ١٩٩٢، انظر عبد الفتاح علي بوتلني، الأخوان المسلمون وثورة ١٤ تموز، مجلة فه زين، العدد ٤، ١٩٩٦، دهوك، ص١٠٧.

(١٤) الصواف، من سجل ذكرياتي، مصدر سابق، ص٥٥.

(١٥) مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الوهاب الشماع، مصدر سابق.

التي كانت تنهب خيرات الوطن والقضاء على الإقطاع وتحقيق الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة[١٦].

في الوقت نفسه اخذ خطباء الجوامع في المدينة يكرسون خطب يوم الجمعة للإشارة بالثورة الجديدة وقادتها فقد جاء في كلمة خطيب جامع الرابعية (الشيخ نعمان حسين) بان: "... حركتنا هذه قامت على أكتاف رجال لا يهابون الموت لتحرير وطنهم من أيدي المستعمرين وأذنابهم الطغاة المتجبرين والفراعنة المستبدين فهوت عروشهم وانزاح ظلمهم واستبدادهم"[١٧]، وفي خطبة (الشيخ بشير الصقال) تحت عنوان (نحن أمة لا تجزع) موجها كلامه إلى (عبد السلام محمد عارف) نائب رئيس الجمهورية آنذاك بمناسبة زيارته للموصل في ١٥ آب ١٩٥٨ جاء فيها: "... يا عبد السلام عارف ان الشعب العراقي لينظر إلى شخص الزعيم البطل عبد الكريم قاسم والى شخصكم اللامع والى أصحابكم من أبطال الثورة نظرته إلى الأمل الباسم والحظ الميمون وان هذه المساجد لتعتبر نفسها في طليعة الأمة من هذه المعاني الكريمة ... وان هذه المساجد هي معقل القوة الروحية ومصدر الثقافة الدينية التي تحيا بها الأمة حياة مجيدة"[١٨]، وعلى ما يبدو ان (الشيخ الصقال) أراد من خلال هذه الكلمات ان يلفت نظر المسؤولين إلى أهمية دور التربية الإسلامية في تنشئة الجيل الذي تعتمد عليه الأمة في مسيرتها وتطورها من خلال الاهتمام بالمساجد التي تعد منهلا للعلم والثقافة والآداب.

---

(١٦) مقابلة شخصية مع الأستاذ غانم حمودات، مسؤول تنظيم الأخوان المسلمون في الموصل آنذاك، مدرس متقاعد حالياً، الموصل في ٢٠٠١/٨/٨.

(١٧) جريدة فتى العراق، الموصل، العدد ٢١٧٦، ٣١ تموز ١٩٥٨.

(١٨) المصدر نفسه، العدد ٢١٨١، ١٦ آب ١٩٥٨.

غير انه بعد مرور بضعة أيام فقط على قيام ثورة ١٤ تموز طغى على سطح الأحداث الخلاف بين قطبي الثورة الزعيم (العميد الركن عبد الكريم قاسم والعقيد الركن عبد السلام عارف) حتى بدا انهما يسيران باتجاهين متعاكسين وتبلور هذا الخلاف بشكل أساسي حول مسالة الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، وعدم تنفيذ قرار اللجنة العليا للضباط الأحرار القاضي بتشكيل مجلس لقيادة الثورة، والجولات التي كان يقوم بها عارف وخطبه الحماسية المرتجلة التي كانت تثير الجدل والفتنة، وموقف الجمهورية العربية المتحدة الواضح – إعلاميا وعسكريا – في دعم قوى المعارضة داخل العراق لإسقاط نظام قاسم(١٩).

لذلك كان لابد ان يبحث كل منهما عمن يستند إليه ويحظى بتأييده وبحكم نزعة عارف العروبية والإسلامية فقد التفت حوله القوى القومية والإسلامية المؤيدة للوحدة. في حين توجه (قاسم) نحو القوى اليسارية ولا سيما الحزب الشيوعي العراقي التي عارضت قيام الوحدة بشكل عنيف(٢٠).

كان للموصل نصيب من الصراع الذي نشا بين (قاسم وعارف) كباقي المدن العراقية، إلا انه برز بشكل واضح في مدينة الموصل نتيجة للتباين السكاني الذي اشتهرت به الموصل، فضلا عن تميزها وبشكل واضح بحسها الوطني الممزوج بالتدين وهذا يعني ان أي نوع من الأفكار الإلحادية لا يجد له صدى فيها فظهر فيها تياران فكريان متناقضان ضم الأول القوى والعناصر الإسلامية والقومية في المدينة في حين مثل الثاني الحزب الشيوعي العراقي والأحزاب اليسارية الأخرى. وقد

(١٩) للتفاصيل حول ذلك الخلاف انظر: هاشم عبد الرزاق صالح الطائي، ثورة الموصل القومية ١٩٥٩، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٩، ص٥٧-٥٨.

(٢٠) عبد الفتاح علي بوتاني، جريدة الحقيقة – راستي – اول جريدة عربية كوردية في مدينة الموصل، مطبعة خه بات دهوك، ١٩٩٨، ص١٢.

اتخذت الخلافات بين التيارين مظهرا تمثيل أولا بالنقاش الفكري ثم تحول إلى صدامات واشتباكات بالأيدي في الشوارع والمقاهي والمدارس[٢١].

أدى اعتقال (عارف) بعد اتهامه بمحاولة انقلاب ضد (قاسم)[٢٢] إلى ازدياد نشاط الحزب الشيوعي في مدينة الموصل التي كانت تشكل آنذاك تحديا كبيرا أمام الحزب الشيوعي[٢٣] مما جعل تنظيم الأخوان المسلمين يصدر في الأول من كانون الأول سنة ١٩٥٨ بيانا باسم (الجبهة الإسلامية) حذر فيه من خطر المد الشيوعي المدمر ودعوا فيه أيضا المسؤولين وعلماء الدين والشباب المسلم للتصدي لما أسموه بالأفكار الهدامة[٢٤].

كما وقف التيار الإسلامي بوجه الدعايات المغرضة التي سعت لإثارة الفتنة بين أبناء الموصل ومنها الدعاية التي سرت بان المسلمين سيقومون بقتل المسيحيين في المدينة لذا حرصت العناصر الدينية في الموصل على التصدي لهذه الدعاية المغرضة فدعوا المطران (بولص بهنام) لحضور احتفال أقيم في ٦ كانون الثاني ١٩٥٩ بمناسبة عيد الجيش العراقي. رفعت فيه العديد من اللافتات التي تشير إلى التضامن الإسلامي المسيحي[٢٥] كما ألقى الشيخ (بشير الصفال) والمطران (بولص بهنام) كلمات دعوا فيها إلى ضرورة تضامن أبناء المدينة بمختلف أديانهم ومذاهبهم

---

(٢١) الطائي، مصدر سابق، ص٥٨.

(٢٢) للتفاصيل حول محاكمة عارف انظر: محضر جلسات المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة الشعب)، وزارة الدفاع، مطبعة الحكومة، بغداد ٥٨-١٩٦٠، ص٢٣ وما بعدها.

(٢٣) عزيز الحاج، مع الأعوام، في العراق بين ١٩٥٨-١٩٦٩، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص٤٩.

(٢٤) عبدالفتاح علي يحيى، التطورات السياسية الداخلية في العراق ١٤ تموز ١٩٥٨- ٨ شباط ١٩٦٣، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٥، ص١٤٧.

(٢٥) مقابلة شخصية مع غانم حمودات، مصدر سابق.

وفي نهاية الحفل رفع المجتمعون راية تحوي في داخلها صورة هلال وبداخله صليب ثم ساروا في مظاهرة وهم يحملون بأيديهم القران والإنجيل دلالة على التضامن الإسلامي المسيحي في المدينة[٢٦] وقد اظهر ذلك التجمع مدى قوة التيار الإسلامي في المدينة الرافض لكل الأفكار والتيارات الإلحادية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة.

وقد شارك وفد من ممثلي التيار الإسلامي في الموصل في الاجتماع الذي أقيم في مسجد الإمام ابي حنيفة النعمان في بغداد بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج في ٥ شباط ١٩٥٩ والذي عد بمثابة مؤتمر إسلامي كبير. حيث حضره، فضلا عن علماء الموصل، جمع من المسلمين الشيعة والسنة بالإضافة إلى شيوخ العشائر ووجهاء المدن العراقية ويصف (الصواف) هذا الاجتماع بأنه (أول انطلاقه لضرب المد الشيوعي في العراق) وقد ألقى الشاعر الإسلامي (وليد الاعظمي) قصيدة شعرية هاجم فيها المبادئ الشيوعية وتنبأ بانهيارها، جاء فيها:

امنت بالله ان الحق منتصر	والظلم مندحر والكفر منهار
والشعب ان مازج الأيمان همته	فانه لقوى الإفساد دحار
آمنت بالله ايمانا عرفت به	ان الزمان على الباغين دوار
زال الطغاة كما زالت مفاسدهم	والظلم اخره لاشك بنهار
هذي نهاية أهل الظلم فاعتبروا	ان كان عندكم لب وابصار[٢٧]

اخذ الشيوعيون يمارسون أفعالا استفزازية داخل المدينة ضمن حملتهم المعادية للقوى الإسلامية والقومية في المدينة، كالتصدي للمصليين أثناء أداء فريضة

(٢٦) احمد سامي الجلبي، ثورة الموصل البداية والنهاية، جريدة الاتحاد، بغداد، العدد ١٦٥، ١٢ آذار ١٩٩٠.

(٢٧) الصواف، مصدر سابق، ص٦٠.

الصلاة وإهانة علماء الدين المسلمين الذين هاجموا في خطبهم الأفكار الهدامة التي تدعوا إليها الشيوعية فقد وقع اعتداء على الخطيب (هاشم عبد السلام) خطيب جامع عجيل الياور آنذاك، من لدن بعض العناصر الشيوعية بعد ان تصدى هذا الخطيب للمبادئ الشيوعية ونبه الناس إلى خطرها ومناقضتها لتعاليم الإسلام مما اضطر مديرية الشرطة إلى ان تضع عدد من أفراد الشرطة عند الجوامع التي تقام فيها صلاة الجمعة[٢٨].

بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، اصبح العراق ساحة مفتوحة لكل التيارات الفكرية والسياسية والأيديولوجيات المستوردة فقد طرحت في أسواق العراق ومكتباته بعض الكتب التي وجدها التيار الإسلامي في الموصل انتهاكا صارخا لمشاعر المسلمين وهجوما فكريا على المعتقدات الإسلامية، مثل كتاب (أين الله) لمؤلفة الروسي مكسيم جوركي، و(ضجة في صف الفلسفة) و (الله قفص الاتهام) فضلا عن رفع الشعارات الهدامة التي تدعو إلى الإباحية ونشر الأفكار اللاأخلاقية وتقويض نظام الأسرة المسلمة مثل شعار (لازواج بعد اليوم)، (الزواج فدرالي)، (لا اله ولا دين إلا الشيوعية وستالين) واهزوجة (بعد شهر ماكو مهر والقاضي نذبه بالنهر)[٢٩]. وغيرها من الأفعال التي كانت تدل وبشكل واضح ان مدينة الموصل تتعرض لغزو فكري وسياسي الهدف منه القضاء على النزعة الإسلامية والقومية للمدينة.

(٢٨) الطائي، مصدر سابق، ص٥٩.

(٢٩) مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الوهاب الشماع، مصدر سابق.

الموقف من انتفاضة الموصل-آذار ١٩٥٩

نتيجة للوضع المتأزم الذي آلت إليه مدينة الموصل وللوقوف أمام التحديات الفكرية والسياسية التي تعرضت لها المدينة، ولمقاومة المد الشيوعي فيها شكل التيار الإسلامي والعناصر القومية في المدينة تجمعا اتفق على تسميته (التجمع القومي الديني) ضم الأخوان المسلمين وبعض الأحزاب ذات التوجه القومي في حين مثل علماء الدين الشيخ (هاشم عبد السلام)، استطاع هذا التجمع ان يتصل بتنظيم الضباط الأحرار في الموصل لتنسيق جهود التنظيمين العسكري والمدني للوقوف بوجه المد الشيوعي في المدينة[٣٠]، ومحاولة تصحيح انحراف ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عن مبادئها من خلال القيام بثورة تطيح بنظام (عبد الكريم قاسم) الذي اتهم من قبل القوى الدينية والقومية آنذاك بأنه كان وراء ذلك الانحراف.

وضمن نشاط التيار الإسلامي في مدينة الموصل، وفي محاولة لتعريف الرأي العام بخطر الشيوعية، استغل التيار الإسلامي في المدينة العديد من المناسبات الدينية للتنديد بالشيوعية وأفكارها الإلحادية ومن تلك المناسبات الاجتماع الذي عقد بمناسبة ليلة الإسراء والمعراج في جامع النبي شيت، حيث ألقى عدد من الرموز الإسلامية في المدينة الكلمات والخطب التي تصب في الاتجاه المعادي للشيوعية وتحميل الحكومة مسؤولية الانحراف الذي حدث في مسار ثورة ١٤ تموز، ومنها كلمة ألقاها (الشيخ محمد محمود الصواف) جاء فيها "... ان الحكومة قد انحرفت في توجهاتها بسبب المد الشيوعي وأصبحت لا تحترم الدين وعلمائه" في الوقت نفسه بعث الشيخ (الصواف) برسالة إلى رئيس الوزراء

(٣٠) عبد الحميد التحافي، ذكرى شهداء الأحرار في ثورة الموصل العربية الباسلة، الموصل، ص١٢.

(عبد الكريم قاسم) أوضح له فيها تجاوزات الشيوعيين وحاول من خلالها كسب تأييد السلطة المركزية في بغداد إلى جانبهم وختمها بقوله: "... واملنا وطيد برجال الجمهورية ان يضربوا بيد من حديد على أيدي البغاة"[٣١].

كما أصبحت الجوامع والمساجد منطلقا لمهاجمة الأفكار الإلحادية من خلال الخطب والدروس التي كانت في مجملها حربا ضارية على تلك الأفكار وللغرض نفسه تشكل في مدينة الموصل تجمع إسلامي أطلق عليه (تجمع الشراة) انطلاقا من قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ضم عددا من الشخصيات الإسلامية مثل (الإمام هاشم عبد السلام) و (الشيخ عبد الله الاربيللي)، وكان لهذا التجمع اتصال مع خلية عسكرية ضمت عددا من الضباط فضلا عن اتصالها بجماعة الأخوان المسلمين لغرض توحيد الصفوف والوقوف بوجه النفوذ الشيوعي في الموصل[٣٢].

في شباط ١٩٥٩ أعلنت منظمة أنصار السلام في العراق وهي واجهة من واجهات الحزب الشيوعي العراقي عن عزمها على عقد مؤتمرها السنوي في الموصل في ٦ آذار ١٩٥٩، في محاولة لفك الطوق الذي فرضته المدينة على الشيوعيين ورفع معنوياتهم فيها، وفي الوقت نفسه لكسر شوكة القوى الدينية والقومية في المدينة، وقد قابلت جماهير الموصل هذا المهرجان بالاضطراب الشامل احتجاجا على عقده في الموصل، كما تصدى بعض علماء الدين في المدينة وبكل جرأة وشجاعة لهؤلاء الشيوعيين من خلال الخطب التي كانوا يلقونها من على منابر

(٣١) جاسم، علماء الدين الإسلامي في الموصل، مصدر سابق، ص١٨٤.

(٣٢) مقابلة شخصية مع الأستاذ سالم عبد الرزاق، موظف في وزارة الأوقاف، بالموصل في ١٩٩٨/٥/٥.

الجوامع وقد جاء في خطبة (الشيخ عبد الوهاب الشماع) أمام وخطيب جامع الشيخ عبد آل آنذاك والتي ألقاها في تلك الجمعة التي صادفت وصول أنصار السلام إلى المدينة، ما يلي: ".. أيها المسلمون لقد جاء أعداء الإسلام والسلام ليتحدوا مدينة الموصل مدينة العروبة والإسلام، فاحذروا دسهم وعدوانهم وكفرهم والحادهم" ثم وجه كلامه إلى (عبد الكريم قاسم) قائلا: "... وانا أقول من على هذا المنبر يا عبد الكريم لو دامت لغيرك ما وصلت إليك. وهكذا لم تبق لك ولا لغيرك. فاتق الله في أمتك، وان لم تتق الله وتحافظ على كرامة هذه الأمة فستسحب جثتك في الشوارع كما سحبت جثث أولئك المفسدين أمثال نوري السعيد"[٣٣].

بالرغم من هذا الموقف الشجاع والحازم من الشيوعية والشيوعيين إلا ان هناك عددا قليلا من علماء الدين اتسم موقفهم بمحاباة الشيوعية، ومشاركة الشيوعيين في بعض مناسباتهم ويبدو ان السبب في ذلك يعود إلى انخداع هؤلاء العلماء بالدعاية الشيوعية التي ركزت على العمل على تحسين أوضاع الطبقات الفقيرة من المجتمع، أو لاسباب أخرى غير معروفة.

في وقت متأخر من صباح يوم الأحد ٨ آذار ١٩٥٩ أذيع عبر الأثير البيان الأول لانتفاضة الموصل. فكان للتيار الإسلامي في الموصل دور واضح في هذه الانتفاضة فقد اخذ الشيخ (عبد الله الاربيلي) على عاتقه ترجمة وقراءة بيان الانتفاضة باللغة الكردية أما الإمام (توفيق علي النعيمي)[٣٤]. فقد احضر معه في

(٣٣) مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الوهاب الشماع، مصدر سابق.

(٣٤) ولد الامام توفيق النعيمي في الموصل عام ١٩٣٠، تخرج من متوسطة الفيصلية في الموصل، تطوع كإمام عسكري في الجيش وعين إماما في الفوج الثاني في اللواء الخامس استشهد يوم ١٩٥٩/٣/٩ في معسكر الغزلاني للتفاصيل انظر: احمد محمد المختار، تاريخ علماء الموصل، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٩٨٤، ص٧٦.

اليوم الأول للانتفاضة جهاز تسجيل مع مجموعة من أشرطة القران الكريم والأناشيد الوطنية الحماسية التي كان لها دور في إثارة المشاعر وبث الحماس في نفوس الناس[٣٥]، كما تجمع في اليوم الأول للانتفاضة عددا من أعضاء جماعة الأخوان المسلمين في جامع (باب البيض) وخرجوا في مظاهرة لتأييد الانتفاضة وهم يرددون هتافات إسلامية مثل (الله اكبر والعزة للإسلام) و (الله غايتنا، والقران دستورنا، ومحمد زعيمنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا)[٣٦].

ومهما يكن من أمر فقد أحاطت بانتفاضة الموصل ظروف ذاتية وموضوعية أدت إلى إخفاقها بعد يوم واحد من إعلانها مما نتج عنه استباحة مدينة الموصل من لدن العناصر الشعوبية والفوضوية لثلاثة أيام متوالية، شكلت خلالها محاكم فورية قامت بإصدار أحكام الإعدام بحق المشاركين بالانتفاضة كما سحلت فيها الجثث وعلقت عارية بشكل لا أخلاقي على أعمدة الكهرباء ونهبت العديد من الدور وأضرمت فيها النيران[٣٧].

أقام الحزب الشيوعي، بعد إخفاق الانتفاضة في بناية مديرية الشرطة محكمة شكلية لتصفية خصومهم من العناصر الدينية والقومية سميت بـ(المحكمة القصابية) نسبة الى رئيسها عضو اللجنة المحلية للحزب الشيوعي (عبد الرحمن القصاب). وبدأت بإجراء محاكمات كيفية يتم بعدها إعدام المتهمين مباشرة، وقد كان لبعض رموز التيار الإسلامي في الموصل نصيب من تلك المحاكمات. ومن هؤلاء (الإمام هاشم عبد السلام) الذي كانت له مواقف معادية للشيوعية فقد كان هذا الإمام قبل

(٣٥) الطائي، مصدر سابق، ص١٠٢.

(٣٦) مقابلة شخصية مع الأستاذ غانم حمودات، الموصل في ٢٠٠١/٨/٨.

(٣٧) الطائي، مصدر سابق، ص١٢٩ وما بعدها.

أيام من الانتفاضة راقدا في المستشفى الجمهوري في الموصل لغرض إجراء عملية جراحية وبعد إخفاق الانتفاضة أخرجه الشيوعيون من المستشفى واقتاده إلى المحكمة القصابية وهناك بادرهُ (عدنان جميران) احد أعضاء المحكمة القصابية قائلا: "... ها .. ماذا تقول في الشيوعية هل المبدأ الشيوعي حق. ام مبدأك؟. فاشار الشهيد إلى محل في وجهه حيث ضرب باله راضة وقال: ها هو مبدأكم يا عدنان. تعاملون رجال الدين بهذه المعاملة"(٣٨).

ويصف احد الشهود ما جرى للأمام هاشم عبد السلام قائلا: "... جيء بالعالم الديني هاشم عبد السلام وكان حاسر الرأس وبدون جبة وادخل الغرفة وبعد مدة قليلة سمعنا صوت الطلق الناري وبطريقي إلى نائب المدير شاهدت جثة المجني عليه هاشم عبد السلام ملقاة في الصالون والمحامي جر جيس فتح الله يطأ لحيته ورأسه في قدمه ويقول له: يا خائن"(٣٩).

وهكذا قدم هذا العالم وغيره دمه ثمنا للصراع الحزبي والحقد والتعصب الأعمى وتخليدا لذكرى هذا الشهيد قام عدد من الأدباء والشعراء الإسلاميون برثائه. فقد رثاء الأستاذ الشيخ احمد محمد المختار في قصيدة جاء فيها:

اخا المنابر ـ يا انسان ثورتنـــا ـ	هل بت في العالم العلوي جذلانا
قم من ترابك واسكب في مسامعنا	ـعلى المنابر ـ احكاما وقرانـــا
ماحط قدرك قبر أنزلوك بـه	بل زاد روحك تخليدا ورضوانا
ان العروبة لو خطت مفاخرهـــا	لكنت في ذلك التاريخ عنوانـــا

(٣٨) جريدة فتى العراق، العدد ٢٣٢٠، ٥ مايس، ١٩٦٠.

(٣٩) المصدر نفسه، العدد ٢٣١٨، ٢٩ نيسان، ١٩٦٠، غير ان جرجيس فتح الله ينفي في كتيب اصدره حديثا هذه التهمة الموجهة إليه نفيا قاطعا كما ينفي أية صلة أو علاقة له مما حدث.

انظر: جرجيس فتح الله، إسقاط النظام لا يكون بهذا. ستوكهلم ١٩٩٠، ص ص ٣٩ وما بعدها.

جاهدت في الموصل الحدباء منتصرا حتى مضيت كحلم طيب كانا
والحر ينصفه تاريخه وكفى بالذكر خلدا وبالتاريخ ميزانا(٤٠)

كما صور الشاعر الإسلامي (ذنون الاطرقجي) جانبا من وحشية القتلة. إذ يقول:

ياجثثا تشكو لديانها شوهها الساطور والسحل
ويح عمود النور لم ينهدم ما هذه من ثقلها تقل(٤١)

ورغم ذلك يمكن القول ان رموز التيار الإسلامي في مدينة الموصل خلال الأيام التي أعقبت إخفاق الانتفاضة وتسلط العناصر الفوضوية على المدينة قد التزموا الصمت خوفا من ان يصيبهم نفس المصير الذي أصاب العالم هاشم عبد السلام، وهذا ما دفع الشيخ (بشير الصقال) إلى ان يستعطف رئيس الوزراء (عبد الكريم قاسم) نافيا خروج مدينة الموصل عن سلطته، خلال برقية أرسلها له والتي جاء فيها: "... سيادة الزعيم الحبيب اللواء الركن عبد الكريم قاسم ان الله يعلم وكفى به عليما بان الموصل لم تنحرف عن قيادتكم الحكيمة لحظة واحدة ولا تخلت عن جمهوريتنا الحبيبة رمشة عين ولا كفرت بالنعمة التي اسديتموها انتم إلى هذا الوطن... ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وينشرون الفوضى. فشكرا

(٤٠) المختار، مصدر سابق، ص٣٩.

(٤١) من قصيدة مطلعها: احكي ودمع العين ينهل انلو عذابي والبكا يبلو. انظر جريدة الحدباء، الموصل، العدد (٩٠٥) في ١٩٩٩/٣/٨.

لك يا زعيم الأمة ويا كشف الغمة عن الجماهير الواعية والجموع الحاشدة المبتهلة إلى الله ان يحفظكم ويرعاكم. عنهم ومنهم بشير العسقال"(٤٢).

بالرغم من ذلك شنت السلطة الحاكمة عمليات اعتقال واسعة شملت العناصر ذات التوجه الإسلامي والقومي. لاقى المعتقلون في السجون ابشع أنواعها التعذيب والاضطهاد. وقد أساء بعض الشيوعيون فيها إلى مشاعر المعتقلين الدينية بل تجاوزوا الحدود في الاستهانة بالقيم الروحية. وعلى ما يبدو ان سلوكهم هذا مبني على أسس العقيدة السياسية التي حملوها الا وهي الفكر الشيوعي الاممي الذي اندفع الشيوعيون المحليون، وبدون تفكير، في تبنيه والذي يصف الدين بأنه (افيون الشعوب). فقد كانوا يتهكمون أمام المعتقلين بعقيدة المسلمين ويسخرون من رسالة الإسلام التي جاء بها الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم). وكانوا يجهرون بالكفر بالله وبالإسلام. وقد تعرض النقيب الصيدلي آنذاك (امين كركجي) إلى الضرب بقسوة من بعض الضباط الشيوعيين لانه كان يقرا القران في المعتقل(٤٣)، ويذكر (محمد شفاء العمري)(٤٤) عضو حركة القوميين العرب فرع الموصل انذاك: "... ان اهل احد المعتقلين وخلال زيارتهم له سالوه عن موعد خروجه فرد عليهم بقوله (الله الكريم) فسمعه احد الضباط الشيوعيين فجمعنا على أثرها وبدا هو وجنوده بضربنا وبقسوة وهو يقول: إذا الله كريم فالياتي وينقذكم".

في الوقت نفسه ركز بعض المحققين المعاديين للتوجه الديني على تعذيب علماء الدين المسلمين انطلاقا من موقفهم المعادي للدين وعلمائه فقد تعرض الإمام

(٤٢) جريدة فتى العراق، العدد ٢٢٣٩، ١٠ آب، ١٩٥٩.

(٤٣) مقابلة شخصية مع المقدم الصيدلي المتقاعد امين كركجي بالوصل في ١٩٩٨/١١/٥.

(٤٤) مقابلة شخصية معه بالموصل في ١٩٩٨/٨/٢٢.

(سعيد عبد العزيز) أمام الفوج الأول لواء الخامس للكثير من الإهانات والإذلال من المحققين[٤٥]. ويصف الشيخ (عبد الوهاب الشماع) والذي اعتقل في سجن الموصل المركزي، ما جرى له خلال تعذيبه قائلا: "... خاطبني الشيوعي عمر اليأس بعد ان انهوا تعذيبي قائلا: والان هل تقول اكو الله؟ فأجبته ان الله خالق كل شيء فرد علي بقوله: ان الشعب هو الذي خلق الله. ثم قال لي لماذا تتعرض دائما في كلامك على مكسيم جوركي – وهو مؤلف كتاب أين الله؟ – فاجبته بان مكسيم جوركي عرف نفسه في مقدمة الكتاب بأنه لقيط عثر عليه في احد الاديرة أي انه ابن حرام. وهنا انهال علي عمر اليأس وجماعته ضربا بالعصي التي كانوا يحملونها حتى اغمي علي من شدة الضرب"[٤٦]. أما الشيخ (عبد الله الاربيلي) فلم تطل مدة اعتقاله. فقد أطلق سراحه بتأثير إذاعتي دمشق وصوت العرب اللتان اخذتا تكشفان المعاملة الوحشية التي يتعرض لها علماء الدين في العراق داخل السجون[٤٧].

بعد إعدام كوكبة من الضباط في ساحة ام الطبول ببغداد، قاد التيار الإسلامي جماهير الموصل في تشييع شهداء الموصل وهم يهتفون (الله اكبر شهدائنا في الجنة). ثم تجددت تلك المظاهرات الاستنكارية بعد إعدام ضباط الوجبة الثالثة في ١٩٥٩/٩/٢١. فخرجت مظاهرة انطلقت من محلة راس الجادة مارة بباب البيض وطافت العديد من شوارعها الموصل حمل المتظاهرون خلال مسيرتهم نسخا من القران الكريم وهم يهتفون بشعارات إسلامية[٤٨].

---

(٤٥) حازم حسن العلي، النفاضة الموصل، ثورة الشواف ٧ آذار ١٩٥٩، الدار العربية، بغداد، ١٩٨٧، ص١١١.

(٤٦) مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الوهاب الشماع، مصدر سابق.

(٤٧) مقابلة شخصية مع الأستاذ غانم حمودات.

(٤٨) مقابلة مع السيد عبد الجواد صالح الامين، شقيق الشهيد مظفر صالح الامين، بالموصل في ١٩٩٨/٣/١٠.

في الوقت نفسه بدا التيار الإسلامي في المدينة بحملة تبرعات لمساعدة عوائل الشهداء والمعتقلين. عن طريق تقسيم المدينة حسب المناطق السكنية. كل منطقة تقوم مجموعة من الشباب المسلم بجمع التبرعات. وتم جمع كميات من المواد الغذائية والملابس والنقود وزعت على مستحقيها من عوائل الشهداء والمعتقلين(٤٩).

في آذار ١٩٦١ قدم عدد من رموز التيار الإسلامي في مدينة الموصل طلبا موجها إلى رئيس الوزراء (عبد الكريم قاسم) وهم وكل من: (بشير الصقال، محمد صالح الجوادي، عمر بشير النعمة، محمد اليأس العدواني، شاكر محمود خطيب جامع الخاتون، شمس الدين سيد حاتم خطيب جامع النبي جرجيس، ذنون غزال خطيب جامع الشيخ عبد آل، توفيق الصميدعي أمام جامع حسين باشا) يستعطفون لا طلاق سراح عدد من أبناء المدينة المعتقلين جاء فيه: "... لقد نشطت في الموصل المنكودة الحظ حركة الحجر والاعتقال فامتدت إلى عدد من الشباب اليافع الذي لا يسوغ عقل ان هؤلاء يقدمون في المسيرة العامة أو يؤخرون كما امتدت يد الحجر إلى أفراد نكبوا في أهليهم واقاربهم افضح النكبات"(٥٠) يستدل من النص ان اكثر الذين اعتقلوا كانوا من الشباب المسلم الذين لم يشتركوا في الانتفاضة بل تم اعتقالهم لتوجهاتهم الإسلامية والقومية.

وتجدر الإشارة إلى ان مرشد جماعة الأخوان المسلمين في العراق (الشيخ محمد محمود الصواف) كان قد بعث برسالة خاصة إلى الرئيس المصري (جمال عبد الناصر) بعد لجوئه إلى سوريا اثر إخفاق انتفاضة الموصل يتهم فيها الاقليات

(٤٩) مقابلة مع السيد صبري الليلة، وهو أحد أفراد المجموعات المكلفة بجمع التبرعات آنذاك، بالموصل في ١٩٩٩/٤/١٢.

(٥٠) انظر: الطلب المقدم إلى الزعيم عبد الكريم قاسم بواسطة متصرف لواء الموصل، الكتاب المرقم (١٣٥٣٣) في ١٢ آذار ١٩٦١، بحوزة الدكتور دريد عبد القادر نوري.

الدينية والقومية بمشاركة الشيوعيين في أعمال القتل والسحل التي حدثت في الموصل بعد إخفاق انتفاضتها حيث يقول فيها: " ... ولا أريد ان ادلل على قولي هذا بحوادث الجزائر وحربها الطاحنة وحوادث لبنان. وحوادث عمان. واخيرا حوادث العراق والدور الخطير الذي لعبه المسيحيون في الموصل. فقد اصبحوا جميعا شيوعيين بقدرة قادر. وانتهزوها فرصة فهبت القرى المسيحية تفتك بأهل الموصل بالتعاون مع العناصر الشيوعية الأخرى. وتقتل الصغار والكبار. ويؤسفني ان أقول هذا في مواطنين لم نسئ إليهم بل نكن لهم العطف والاحسان"(٥١).

وعلى ما يبدو ان هناك مبالغة وتعميم في وصف الشيخ الصواف لموقف الاقليات الدينية والقومية في مدينة الموصل. فعلى الرغم من ثبوت مشاركة البعض من تلك الاقليات في الأحداث التي جرت في المدينة بعد إخفاق انتفاضتها، لانخداعهم بالدعاية الشيوعية التي تركزت بين تلك الاقليات، الا انه يمكن القول ان هناك عدد من العوائل المسيحية المعروفة في مدينة الموصل مثل (ال سرسم)، (ال بيثون) وغيرهم قد ادركت نوايا بعض الأطراف محاولاتهم لبث التفرقة الطائفية والتعصب الديني بين أبناء المدينة ووقفت وبشكل حازم ضد هذا التوجه المغرض.

في حين اتهم الشيخ الصقال الاستعمار والشيوعية بأنهم وراء الفتنة التي حدثت بين أبناء الوطن الواحد ضمن إحدى خطبه والتي جاء فيها: "... فالمسيحية الأصيلة تدعوا اتباعها إلى المحبة العامة للبشر ليس من شانها ان تكون حربا على الأديان الأخرى لا سيما إذا كانوا يسكنون في وطن واحد. لكن المستعمرين والشيوعية من الذين وطدوا للصهاينة في فلسطين لا يطيب لهم العيش الا إذا فرقوا

(٥١) عبد الفتاح علي بوتاني، مرشد جماعة الأخوان المسلمين في العراق الشيخ محمد محمود الصواف وخطته في قلب نظام الحكم سنة ١٩٥٩، مجلة قه زين، دهوك، العدد ١٣، ١٩٩٨، ص١٨٠.

بين أبناء هذا الوطن إلى شيع وأحزاب يعادي بعضهم بعضا ويستحيل بعضهم أموال وارواح ودماء الآخرين"[٥٢].

شهدت مدينة الموصل مدا إسلاميا وقوميا عنيف ضد نظام (عبد الكريم قاسم) والشيوعيين على اثر إعدام الضباط المشتركين في انتفاضة الموصل. وقد أثار هذا العمل استياء وغضب عناصر التيار الإسلامي في الموصل. الذين انطلقوا يهاجمون الشيوعية ومن يقف وراءها ويساندها من خلال خطب الجمعة والمقالات الصحفية حيث أصبحت الجوامع تغص بالمصليين الذين يامون تلك الجوامع لأداء فريضة صلاة الجمعة والاستماع للخطباء المعروفين بمواقفهم الجريئة من الشيوعية وأفكارها الإلحادية كالشيخ (بشير الصقال) خطيب جامع الاغوات، والأستاذ (احمد المختار) خطيب جامع قضيب البان، والشيخ (ذنون يونس غزال) خطيب جامع الشيخ عبد آل، والملا (ذنون أبو الغطر) خطيب جامع الإمام محسن، والشيخ (نعمان حسين) خطيب جامع الرابعية، والشيخ (محمد عمر) خطيب جامع باب الطوب، الذي هاجم من على المنبر، وبشكل صريح (عبد الكريم قاسم) وانتقد ما يجري من انتهاكات في المحكمة العسكرية العليا الخاصة أو ما سميت آنذاك بـ(محكمة المهداوي)[٥٣].

ومن المواقف البطولية والشجاعة لعلماء الدين المسلمين ذلك الموقف الجريء للشيخ (عبد الوهاب الشماع) عندما هاجم قاسم علانية أمام المصليين، وذلك خلال وجوده في احد جوامع قضاء تلعفر لاداء صلاة الجمعة، عندما اخذ خطيب ذلك الجامع يفسر قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم "يا أيها الذين

(٥٢) جريدة فتى العراق، العدد ٢٢٤٧، أيلول ١٩٥٩.

(٥٣) مقابلة مع الأستاذ احمد المختار، بالموصل في ٢٠٠١/٨/٢٥.

امنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم" بان المفروض إطاعة خليفة المسلمين (عبد الكريم قاسم) والسير على هداه وتنفيذ ما يأمر به ويقره، وبعد انتهاء الصلاة مباشرة صعد الشيخ (الشماع) على المنبر وطلب من الناس عدم الخروج والجلوس ليتحدث إليهم عن الأخطاء التي وقع فيها خطيب الجامع حيث قال: "... أيها المسلمون اعلموا ان خطيب هذا الجامع قد فسر القران على غير وجهه الشرعي، وانا أقول لكم ان طاعة عبد الكريم قاسم معصية لله، وان معصيته طاعة لله هذا الذي سعى لتمزيق القران الكريم، وزج بالعلماء والمسلمين في غياهب السجون" وقد احدث هذا الكلام هلعا كبيرا بين المصلين بسبب الظروف التي كان يمر بها البلد حيث سيطرة العناصر الشيوعية والموالية للنظام على مقاليد الأمور في البلد وعلى اثر ذلك صدر أمر بالقاء القبض على الشيخ (الشماع) مما اضطره إلى اللجوء إلى الإقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة (سوريا)[٥٤].

أما الشيخ (بشير الصقال) فقد اخذ ينظم الدروس اليومية خلال شهر رمضان ويتصدى من خلالها للأفكار والنظريات الشيوعية، ويعمل على نقضها وتفنيدها بشكل علمي ومدروس، ويعرف الناس حقيقة الشيوعية وخطرها على المجتمع[٥٥].

وفضلا عن موقف علماء الدين المسلمين، انطلق عدد من المفكرين من ذوي التوجه الإسلامي يعبرون عن موقفهم من الفكر الشيوعي عن طريق كتابة المقالات الصحيفة التي هاجموا من خلالها الشيوعية بعنف، وشنوا عليها حملة من

(٥٤) مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الوهاب الشماع، مصدر سابق.

(٥٥) مقابلة شخصية مع الشيخ إبراهيم النعمة، بالموصل في ٢٠٠١/٨/٣٠.

التشهير والنقد لتبصير الرأي العام بخطورة الأفكار الشيوعية والمجتمع ومن هؤلاء الكتاب (صلاح الدين مجيد، إدريس عبد الحميد الكلاك، عبد الحميد التحافي، عبد الحميد اللاوند، والشاعر ذنون يونس مصطفى، وحازم شيت الطائي)[٥٦].

وعلى هامش هذه المواقف وتدليلا على التماسك الاجتماعي والتعاطف والتراحم بين أبناء الوطن الواحد، نشطت حركة واسعة في مدينة الموصل قادها التيار الإسلامي في المدينة لجمع التبرعات للمتضررين في حوادث كركوك (تموز ١٩٥٩)، وكانت استجابة أهالي الموصل لهذه الدعوة كبيرة وسريعة[٥٧].

الموقف من انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣

تصاعد نشاط التيار الإسلامي في مدينة الموصل، المعادي لنظام حكم (عبد الكريم قاسم) واخذ عناصره يستغلون كل مناسبة دينية أو وطنية ليعبروا من خلالها عن موقفهم الحازم وتصديهم لكل فكر لا يتلائم وطبيعة مدينة الموصل ذات التوجه الإسلامي الممزوج بالشعور الوطني القومي، حتى حدوث انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ الذي أطاح بنظام (عبد الكريم قاسم) وانهى النفوذ الشيوعي في العراق[٥٨].

استقبل التيار الإسلامي في الموصل، نبأ انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ بالتأييد المطلق وقد عبر بعض علماء الدين المسلمين عن موقفهم المؤيد من الانقلاب حتى قبل ان ينجلي الموقف بشكل كامل ويتضح مصير (قاسم) ففي خطبة يوم الجمعة

(٥٦) جريدة فتى العراق، أعداد متفرقة، آذار ١٩٦٠، مقابلة شخصية مع الأستاذ احمد سامي الجلبي، بالموصل في ٢٠٠١/٨/٤.

(٥٧) جريدة فتى العراق، العدد ٢٢٤٠، ١٧/آب/ ١٩٥٩.

(٥٨) مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الوهاب الشماع، مصدر سابق.

وهو اليوم الذي حدث فيه الانقلاب، هاجم الشيخ (عبد الوهاب الشماع) نظام حكم (قاسم)، وانتقد سياسته على الرغم من تحذير بعض المصلين للشيخ الشماع من خطورة هذا العمل لعدم معرفة مصير (قاسم) بشكل نهائي(٥٩).

أما الشيخ (بشير الصقال) فقد اظهر حماسا في تأييد انقلاب شباط ١٩٦٣ ويظهر ذلك واضحا من خلال الخطب التي ألقاها والبرقيات التي بعث بها إلى قادة الانقلاب. ففي إحدى خطبه جاء فيها: "... ان ثورة ١٤ رمضان فتح من الله وبتأييده أجراه الله عز وجل على أيدي فدائيين بررة عرضوا صدورهم ونحورهم لكل أسباب الموت المحقق ووضعوا أرواحهم على اكفهم(٦٠)" كما بعث ببرقية إلى رئيس الجمهورية (عبد السلام عارف) والمجلس الوطني ومجلس قيادة الثورة يهنئهم بقيام النظام الجديد ويدعوا لهم بتحقيق الوحدة العربية الإسلامية ومما جاء فيها: "... عم السرور بانفراج الأزمة وانكشاف الغمة، اخذ الله بيدكم إلى مسعى الوحدة الوطنية من اجل الوحدة العربية نواة الوحدة الإسلامية أمل الحياة المطمئنة ورجاء الإنسانية السعيدة"(٦١).

لذلك يمكن القول ان التيار الإسلامي في مدينة الموصل قد استقبل تغيير السلطة السياسية في العراق في شباط ١٩٦٣ بابتهاج وتفائل على أمل ان يأخذ التيار الإسلامي في المدينة مكانته المتميزة في المجتمع غير ان صفحة جديدة من الصراع بين التيار الإسلامي والسلطة السياسية الحاكمة قد بدأت مرة أخرى.

---

(٥٩) مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الوهاب الشماع، مصدر سابق.

(٦٠) جريدة فتى العراق، العدد ٢٦٠٨ في ٢ نيسان ١٩٦٣.

(٦١) المصدر نفسه، العدد ٢٦٥٤ في ١٩٦٣/١١/١٤.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة يمكن القول ان مدينة الموصل تعتبر من المدن العراقية التي كان للعامل الديني اثر كبير في تكوين شخصية أبنائها، وتحديد مواقفهم إزاء القضايا الوطنية والقومية التي شهدها تاريخ العراق المعاصر بشكل عام وتاريخ مدينة الموصل بشكل خاص وقد تجلى تأثير العامل الديني بشكل واضح على علماء الدين وذوي التوجه الإسلامي في المدينة الذين تركوا بصماتهم واضحة على الأحداث السياسية التي مرت بها مدينة الموصل. وبقدر تعلق الأمر بموضوع الدراسة فقد رأينا كيف ان هذه الشريحة من أبناء المدينة (واقصد بهم علماء الدين المسلمين والجماعات الإسلامية والذين يشكلون التيار الإسلامي في المدينة) قد شاركت الجماعات والأحزاب السياسية الوطنية الأخرى في المدينة في نشاطهم المعادي للنظام الملكي المرتبط بالدوائر الاستعمارية، وعملوا على تهيئة الرأي العام في المدينة لتقبل التغيير المقبل، من خلال الخطب والمقالات الصحفية، والدروس التي كانوا يلقونها في جوامع المدينة ومساجدها.

وقد شاركت هذه الشريحة فرحة العراقيين بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي أطاحت بالنظام الملكي في العراق وأعلنت الجمهورية، فخرج قسم منهم في مظاهرات لتأييد الثورة الجديد، وأرسل القسم الآخر برقيات التهنئة إلى قادة الثورة ورجالها.

وبعد انحراف ثورة ١٤ تموز عن المبادئ التي قامت من اجلها، وتفرد الزعيم (العميد الركن عبد الكريم قاسم) بالسلطة، واحتضانه الحزب الشيوعي العراقي، الذي انطلق يهاجم كل اتجاه إسلامي وقومي عربي من خلال نشر الكتب

التي تدعو إلى الإباحية والأفكار اللاأخلاقية وطرح الشعارات التي تعمل على تفويض نظام الأسرة وتفكيك المجتمع، وتحدي القيم والأخلاق الإسلامية التي كانت تتميز بها مدينة الموصل، تصدى رموز التيار الإسلامي في الموصل لذلك الانحراف وشكلوا سدا منيعا لمواجهة الغزو الفكري والسياسي الذي تعرضت له مدينة الموصل من لدن العناصر الشعوبية والفوضوية، سواء عن طريق الخطب والدروس، أو المقالات الصحفية التي كشفوا من خلالها الرأي العام حقيقة الفكر الشيوعي وخطره على الأسرة والمجتمع لذلك نرى انه بعد إخفاق انتفاضة الموصل، والتي كان لهذه الشريحة دور واضح فيها، نرى ان العناصر المعادية للتوجه الديني في المدينة قد شنوا حملة انتقامية طالت العديد من رموز التيار الإسلامي، فضلا عن كل من رفض الفكر الإلحادي من أبناء المدينة، فاعدم بعضهم واعتقل البعض الآخر بعد ان تعرضوا لشتى أنواع التعذيب والإذلال النفسي.

وعلى الرغم من سياسة البطش والمطاردة والاعتقال التي استخدمتها السلطة السياسية آنذاك ضد القوى الإسلامية الا ان ذلك لم يردع التيار الإسلامي في مدينة الموصل الذي انطلق يهاجم الفكر الإلحادي ونظام الحكم الذي يسانده حتى تم إسقاط النظام والقضاء على النفوذ الشيوعي في البلاد بشكل نهائي بقيام انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق والذي استقبله التيار الإسلامي في مدينة الموصل بالتأييد المطلق، أملا في بداية عهد جديد تأخذ فيه مدينة الموصل مكانتها ودورها الوطني والحضاري.